الفصل السادس

الأسس الاجتماعية النفسية للسلوك*

١ ـ الفرد والمجتمع

يشترك الانسان مع الحيوان كما ذكرنا فى دوافعه الأولية ، إلا أن الانسان يتميز عن الحيوان بأن له حياته الاجتماعية التى تعدل من دوافعه الأولية وتهيئه لاكتساب دوافع أخرى، وبعض الحيوانات الراقية لها حياتها الاجتماعية إلا أنها تختلف فى طباعها عن حياة الانسان نظرا للفروق الجوهرية بين كل منها .

١ ـ فالحيوان محدود القدرة على ادراك الماضى أو المستقبل واستجابته قاصرة على ادراكه للحاضر،فقد تثور مجموعة من الشمبانزى اذا فصل أحدها عنها وخاصة اذا صاح هذا الواحد أو كافح ضد فصله ، ولكن ثورة المجموعة تخمد بمجرد ابعاده وكأنها قد نسيته على الرغم من استمرار الشمبانزى المبعد فى حنينه للعودة الى الجماعة فترة من الزمن .

٢ ـ تتميز الحيوانات بعدم قدرتها على التعاون الذى يعتبر من أهم صفات الانسان،فقد تعمل الحيوانات معاً ولكن دون تعاون فقد درب أفراد مجموعة من الشمبانزى كل على حدة على صف ثلاثة صناديق بعضها فوق بعض للوصول الى موز معلق فى سقف الحجرة . فلما اجتمعت الشمبانزى مع بعضها لحل هذه المشكلة التى سبق أن تعلمها كل منها ، تشاجرت محاولة اختطاف الصناديق حتى أعيتها المقاومة

---

* لدراسة تفصيلية لهذه الاسس أنظر كتاب المرجع فى علم النفس للمؤلف ـ الطبعة الرابعة ـ

الا أن واحداً منها تغلب على الجميع وأتم البناء وكان أنانياً فى الحصول على الموز فلم يسمح لغيره بمشاركته .

٣ ـ رغم أنه يمكن تدريب الشمبانزى مثلا على استعمال الآلات وصنع بعضها الا أنها لا تبدى أى استعداد للاحتفاظ بهذه الآلات لاستعمالها فى المستقبل وقت الحاجة .

٤ ـ مما تتميز به الجماعات الانسانية وجود ثقافة لها ينقلها الآباء للابناء الذين ينقلونها بدورهم للأحفاد . ولا يحدث هذا الا فى حيز ضيق جـــدا ونادر فى جماعات الحيوانات . وتتوقف عملية الثقافة على نقل العادات والمعتقدات والطرق الفنية عن طريق اللغة التى تعتبر أهم مظهر يتميز به الانسان على الحيوان .

٥ ـ قدرة الحيوان على تعلم اللغة محدودة . وقد فشلت كل المحاولات فى تعليم الحيوان اللغة ، وان كانت المحاولات صادفها بعض النجاح فى تعليم الحيوان بعض مصادر السلوك البشرى .

على أى حال يختلف الانسان حتى عن الحيـــوانات والحشرات التى تسمى «اجتماعية» كالقردة والنمل والنحل فى أن الانسان لا يعيش مع أفراد مجتمعة بطريقة محددة جامـدة يقررهـا التكوين البيولوجى والعصبى ، ولـكن الانسان يعيش فى جماعة وعن طريق عضويته فى هذه الجماعة . حقا ان للحيوانات علاقات مع نفس أفراد نوعها ، وقد تصطبغ هذه العلاقات بخصائص بسيطة من خصائص المجتمعات البشرية . غير أن «مجتمع» الحيوان يتميز بالبساطة اذا ما قورن بالمجتمعات البشرية . ويرى واردن Warden أن الانسان هـو وحـده الذى يعيش فى مجتمع حقيقى ومعايير المجتمع الانسانى الذى تفرق بينه وبين مجتمع الحيوان هى ١ ـ الاختراع ٢ ـ الاتصال ٣ ـ والنظم الاجتماعية المكتسبة . وان انطبق واحـــد من هذه

المعايير على بعض الحيوانات بشكل ما، غـــير أنها تفتقر الى التنظيم الاجتماعى فى المجتمعات الانسانية .

على أى حال تتميز طفولة الانسان بأنها أطول طفولة فى الحيوانات الراقية ، وتحتم طفولته عليه الاعتماد على غيره من الناس فى الطعام والشراب والملبس والحماية وتعلم السبل التى تمكنه من الحياة مع غيره من أبناء جنسه . كما يمتاز المجتمع البشرى بتعقده وكلما زاد رقى المجتمع كلما زاد تعقده وزادت مدة طفولة الانسان وزادت حاجته للغير ليتعلم السلوك الضرورى الذى يساعده على التكيف الاجتماعى . وهذا السلوك أنماطه معقدة ولن يتم تعلمها إلا بتوجيه الغير . وكلما كان التدريب على هذه الانماط مناسبا كلما زادت قدرته على إشباع حاجاته الجسمانية والنفسية التى تهيىء له توافقه فى مجتمعه .

وحتى بعد أن تمر مرحلة الطفولة بسلام ويصل الكائن البشرى إلى مرحلة النضج ويتعلم سبل التكيف مع مجتمعه لا يمكننا القول بأنه وصل إلى مرحلة الاستقلال عن هذا المجتمع ، فنشاط الشخص البالغ يتوقف على أوجه النشاط التى يقوم بها الآخرون، والاكتفاء الذاتى الفردى لا يوجد فى أى مجتمع من المجتمعات ، ويمكننا أن نتصور مدى حاجة الفرد للآخرين إذا ما تخيلنا مدينة أضرب فيها خبازوها ، أو عمال المواصلات كما حدث من عهد قريب فى نيويورك ، وما إلى ذلك. فأى خلل فى العلاقات التى تهيىء له طعامه والمسكن المريح وأمنه بصفة عامة لابد أن يؤدى الى أن يشعر بأنه لاحول له ولاقوة ، وأى ضرر يلحق بمجتمعه لابد أن يصيبه منه الضرر الكثير. ويمكننا أن نلخص حاجة الفرد للمجتمع فيما يأتى :

١ ـ رعايته فى طفولته .

٢ ـ تدريبه وتوجيهه على اكتساب السلوك الاجتماعى المعتمد .

٣ - استمرار المجتمع نفسه لأن بقاء هذا المجتمع يتوقف عليه بقاؤه .

لهذا من خطأ الرأى أن نتكلم عن الحرية الفردية وكأن الحرية شيئا مجرداً .

إن الحرية الحقيقية للانسان حرية جماعية ولأهداف بعيدة دون الأهداف القريبة. وتنبع من أن المجتمع الذى خلق منه كائناً اجتماعيا هو نفسه نتاج لمجهود بشرى .

والمجتمع وثقافته ميراث اجتماعى من حصيلة الخبرة البشرية . والميراث الاجتماعى من صنع الانسان ويخضع للتغيير والتطوير . اذ تعلم الناس نتيجة لخبرتهم الطويلة بالحياة مع بعضهم أن هناك طرقا للتلاؤم مع الطبيعة ومع غيرهم من الأفراد، وكان من نتيجة تفاعل الجماعات مع بعضها ، واستعارتها من بعضها البعض، وللمجهودات الفردية ، والاحداث أن حمل الأجداد الى الاحفاد ميراثا اجتماعيا يختلف من مجتمع لمجتمع. و «الميراث» الاجتماعى يختلف عن الميراث البيولوجى فى أنه يمكن تصحيحه وتنسيقه تبعا للخبرات الجديدة . وليس معنى هذا أن فردا واحدا يمكنه تغيير مجتمعه بما يتفق وآرائه . ولكن الأفراد جميعا فى مجتمع معين وزمان معين يمكنهم فى ضوء خبرات الماضى وخبرات الحاضر أن يصوغوا مجتمع المستقبل . وهذا ما نعنيه بأن الفرد صانع مجتمعه ، وفى هذا النطاق وحده يمكننا القول بأن الفرد متحرر من ميراثه الاجتماعى .

والفرد جزء لا يتجزأ من مجتمعه ، ولا قيمة له من الناحية الاجتماعية دون النظر اليه فى اطار مجتمعه ويتوقف مدى قبول عضوية الفرد فى مجتمعه على مدى اتفاق أنماط سلوكه واتساقها مع أولئك الذين يكونون المجتمع . ويعنى ذلك أن الفرد مهما كان مركزه عند ميلاده ، مرغوبا فيه أو منبوذا فى مجتمع بدائى أو مجتمع راق عليه أن يتعلم النظم الاجتماعية السائدة فى مجتمعه قبل أن يقبل كعضو

فيه . ولعل أبسط مظاهر السلوك التي يجب على الفرد أن يتعلمها هي كيف يسلك تجاه الماديات وتكوينه البيولوجي، وهو ما نسميه بالسيطرة على العالم المادي والاحتفاظ بكيانه البيولوجي. ويتضمن ذلك كل المهارات والمعرفة التي يتمكن بها الانسان من الحصول على ضروراته المادية والكماليات ، وكيف ينتقل من مكان الى مكان ، وكيف يرعى جسمه وصحته الخ ... اذ على كل فرد أن يجيد مظاهر هذه النواحي، وقمة التخصص فيها هو المهنة أو الحرفة التي يعرف كل شيء عنها . وهذه العمليات مع تعقدها أبسط وأسهل من المهارات الاجتماعية المفروض عليه اكتسابها. وهذه المهارات هي التكنيكات التي يتمكن بها الناس من التعامل مع بعضهم البعض، وبعضها يجيده الجميع ، منها لغة التخاطب وسيلة الاتصال الاجتماعي ، كذلك المعايير الخلقية السائدة في المجتمع اذ من ينحرف عنها قد ينبذ أو يوضع في السجون، وليس على الفـــرد بطبيعة الحال أن يتعلم كل أنواع السلوك التي لها وظيفة في النظام الاجتماعي ولكن ما يتعلمه الفرد هو دوره في هذا المجتمع .

والخلاصة أن الكائن البشري يولد في مجتمع ، وأنه من نواحي عدة يعتمد في بقائه على هذا المجتمع وأن المجتمع يتكون من أجزاء متداخلة معقدة ، وأن الفرد ليحظى بعضويته فيه عليه أن يتعلم تلك المظاهر المناسبة لدوره .

٢ ـ الثقافة الاجتماعية

ويسمى الكل المعقد الذي يشمل المعـــارف والمعتقدات والفنون والقواعد الأخلاقية والقوانين والعادات وغيرها من المهارات والقدرات التي تميز مجتمعا من المجتمعات ويكتسبها الفرد منه بالثقافة . أي أن الثقافة هي المجموع الكلي لطرق التفكير في الماضي والحاضر لجماعة من الجماعات وهي مكتسبة أي متعلمة ، تنقلها الجماعة للأبناء والأحفاد كما تناقلها الآباء عن الأجداد وهي من صنع الجماعة . فهي

الميراث الاجتماعى الذى يولد الطفل وينشأ فيه ويتعلمه .

والتنشئة الاجتماعية تبعا لذلك هى تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة فيها. فنى ثقافتنا مثلا تتعلم الفتاة الطهى وحياكة الملابس والعناية بالأطفال لتعدها لدورها كأم وربة منزل ، بينما يتعلم الولد كيف يحرث الأرض ويرويها ويزرع الأرض ، أو تعلمه أى حرفة أخرى يتكسب منها ليعول الأسرة ويقوم بدوره كغيره من الرجال فى ثقافتنا. ولكل ثقافة طابعها الخاص الذى يميزها عن غيرها من الثقافات . وتحاول كل ثقافة طبع أفرادها بطابعها ، لذلك ينشأ أفراد الثقافة الواحدة ولهم طابع مشترك يميزهم عن غيرهم من أفراد الثقافات الأخرى، ويؤدى تشرب هذا الطابع إلى وحدة الميول والاتجاهات النفسية بل والتفكير والعمل . وهذا ما يدفع أبناء الوطن الواحد إلى اكبار كل ما يمت إلى وطنهم وثقافتهم بصلة وانتقاد ما عداه . وليس أدل على وجود الطابع المشترك من السهولة التى يتعرف بها الغريب فى ثقافة غريبة على أبناء بلدته وتميزهم من بين غيرهم ، لا من ملامحهم الجسمانية فقط ، ولكن من مظاهر عامة فى سلوكهم كنغمة الصوت وطريقة الكلام أو الضحك أو المشى بل وطريقة الأكل ورد التحية .

وعلى الرغم من وجود التشابه بين أفراد الثقافة الواحدة بحكم النشأة المشتركة فيها فأننا نجد اختلافا بين الأفراد فى نفس الثقافة الواحدة. وتحتم مثل هذه الاختلافات الاختلافات الإقليمية الجغرافية كالاختلافات الموجودة بين أبناء صعيد الجمهورية وأبناء الوجه البحرى ، والاختلاف بين أهل الريف وأهل الحضر .

كما توجد اختلافات تحتمها الطبقة الاجتماعية فالثقافة تجمع بين أفرادها فى اطار واحد تعمم فى هذا الاطار ثقافات طبقية . فقد يختلف أبناء الطبقة الدنيا عن أبناء الطبقة الوسطى فى سلوكهم بحكم النشأة فى ثقافة طبقتين مختلفتين .

والأسرة هى الوحدة الاجتماعية فى كل ثقافة . وهى مسئولة عن اعداد الطفل لثقافته حتى يتمكن من الحياة فيها. فهى التى تنقل إليه الآراء والأفكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة فى ثقافته . غير أن وظيفة الأسرة لا تقتصر على ذلك إذ أن كل أسرة تختار من بين ما هو سائد فى ثقافتها ما تنقله إلى أطفالها وما لا تنقله، كما أنها تفسر لهم ما تنقله من وجهة نظرها الخاصة ، وتبعا لذلك نجد أن أطفال الثقافة الواحدة يختلفون فيما بينهم .

والخلاصة هى أن الثقافة تشكل وتبلور أطفالها عما يوجد التشابه بينهم ويجعل لهم طابعا خاصا مميزا لهم ، غير أن الاختلافات الجغرافية والاقليمية والطبقية واختلاف الأسر يؤدى الى وجود اختلافات بين أفراد الثقافة الواحدة .

وتبلور الثقافة أطفالها وتشكلهم فى سنى حياتهم الأولى بتحويلهم من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية اجتماعية عن طريق العمليات التى تسمى بالنظم الأولية. وتوجد هذه النظم فى كل الثقافات غير أن علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية وعلماء الاجتماع قد وجدوا أن الثقافات تختلف فيما بينها فى العادات المتصلة بهذه النظم . ويرى فريق من العلماء ويتزعمهم كاردنر أن هذه النظم مسئولة عن تكوين ما يسمونه بالشخصية الأساسية للأفراد فى ثقافتهم ، ويقصدون بهذا التكوين النفسى والاجتماعى الذى يتشابه فيه الأفراد بحكم نشأتهم فى ثقافة واحدة وتربيتهم تبعا لنظم أولية متشابهة .

ويرى كاردنر وتلاميذه أن هذه النظم تشمل الخبرات وأنماط السلوك المتصلة بالعناية كالرضاعة ، والنظام ، وضبط حركة المعدة ، وكذلك التدريب على الاستقلال ، والتصرف إزاء الانفعالات ، ومعاملة الكبار والأشقاء ، والتربية الجنسية والحياء .

وهناك دراسات عدة قام بها العلماء لدراسة العادات المتصلة بهذه النظم فى الثقافات المختلفة البدائية منها والمتحضرة ويحاولون فى ضوئها الكشف عن مكونات الشخصية الأساسية فى كل ثقافة . كما يحاولون تفسير ما يسود الثقافة من نظم كنظام الأسرة والزواج والطلاق والدين ونظام الحكومة وما اليها مما يسمونها بالنظم الثانوية فى ضوء الشخصية الأساسية التى يكشفونها ، ويرون أن مثل هذه النظم الثانوية نتاج حتمى للشخصية الأساسية . كما يفسرون السمات النفسية الموجودة فى ثقافة من الثقافات كالقلق والزهد والشح والكرم وما اليها بتتبعها والبحث عن أصولها فى النظم الأولية طبقاً لشدة الثقافة أو لينها فى التدريب على هذه العمليات ، إذ يؤدى زيادة اللين والشبع فى التدريب على أى عملية من العمليات إلى ما يسمى بالتثبيت الايجابى ، بينما تؤدى الشدة والحرمان إلى ما يسمى بالتثبيت السلبى ، فاذا كانت هناك أنماط من السلوك كالرضاعة مثلا تصحبها لذة مستمرة ، فلابد لنا أن نتوقع أن يؤدى مثل هذا النمط والمثيرات التى تؤدى اليه إلى تكوين استعداد قوى يدفع إلى تكراره للحصول على اللذة التى تعودها الفرد . إذ تصبح هذه الأنماط وما يثيرها مصادر للاشباع والطمأنينة لأنها ستؤدى إلى الراحة والاسترخاء فى حالة وجود القلق ، هذا بينما يؤدى العقاب الزائد كالعقاب لمنع الطفل من الثدى — إلى استجابات انفعالية يشعر معها الفرد بالقلق خشية العقاب أو خشية الحرمان المستمر .

فكأن كلا من الشبع الزائد والقسوة الزائدة تؤدى إلى تكوين شعور عميق بالقلق . فيشعر من شبع وتلذذ إلى تكرار السلوك اللذيذ — كالمص مثلا — لا لإشباع جوع عنده ولكن للذة المص فى حد ذاتها لتخفيف قلقه . ويشعر من حرم من اللذة بالقلق نتيجة لحرمانه وعقابه ، ويصبح القلق نفسه دافعا عنده إلى السلوك بشكل معين للتخفيف من حدة قلقه .

ولما كانت الأسرة هى التى تنوب عن الثقافة فى تنشئة الطفل اجتماعيا وتحويله إلى كائن اجتماعى وتقوم بهذه الوظيفة عن طريق النظم الأولية . فمن العلماء من يعطى أهمية كبرى لا لما يقوم به الآباء من تنفيذ رغبات الثقافة وتعليم عاداتها ، ولكن اتجاهات الآباء نحو الأبناء وعلاقاتهم بهم . إذ لا تنزعزع شخصية الطفل ولا يصيبها القلق من تعلم عادات معينة مهما كانت قاسية ، إنما تنزعزع شخصيته من شعورة بفقدان حب الوالدين وشعوره بقسوتها عليه . ولعل أهم ما تعطيه الأسرة للطفل هو تحديد دوره ومركزه وفكرته عن نفسه .

٣ — الدور الاجتماعى

إذا كانت الحياة فى الثقافة مسرحا فلكل فرد دوره يمثله على هذا المسرح . وتحدد الثقافة الدور العام للطفل . فللولد دوره كولد ، وللبنت دورها كفتاة لذا نجد أن الأسرة تطلق على الولد اسماً ذكراً وتطلق على الفتاة اسماً مؤنثاً . ويدلل الطفل بأسماء مذكرة كما تدلل الفتاة بأسماء مؤنثة . ويرتدى الولد ملابس الصبيان وترتدى الفتاة ملابس الفتيات . وهكذا يعامل الطفل الذكر منذ اللحظة الاولى فى حياته ليعد لدوره كرجل ، وتعامل الانثى لتعد لدورها كفتاة . فيدرب كل منها على أسلوب معين فى الحياة ، أى يتعلم دوره فيها ويتحدد هذا بسن الطفل وجنسه، فدوره فى الخامسة من عمره غير دوره وهو مراهق غير دوره وهو رجل .

ويتضمن الدور العام للرجل أو المرأة أدوارا مختلفة ، فهو عبارة عن مجموعة من الأدوار تنتظم وتتبلور تحت ما يسمى بفكرة المرء عن نفسه .

ففى ثنايا الدور العام للرجل مثلا دوره كابن ودوره كرجل بين أصدقائه ودوره كعامل أو موظف فى العمل ودوره كفرد يكسب لقمة عيشه ، ودوره كزوج اذا كان متزوجا ، ودوره كأب إذا كان له أطفال . وتتعدد الأدوار

التى تنطوى تحت الدور العام بتعدد المواقف التى يتعرض لها الفرد فى حياته اليومية.

وهذه الأدوار المختلفة هى حصيلة الخبرات الاجتماعية للفرد أثناء تفاعله مع أسرته والمجتمع الخارجى . وتعود كلها فى نشأتها إلى نوع التدريب الذى تلقاه فى أسرته والفرص التى مر بها لإكتساب هذه الأدوار .

٤ — المركز

ويعرف علماء الاجتماع المركز بمكانة الفرد فى المجتمع بين أقرانه . وليس للطفل مركز واحد بل له عدة مراكز مختلفة إذ تحدد له الأسرة مركزه فيها ويسمى هذا بالمركز الممنوح . ويتوقف هذا المركز على مدى تقبل الأسرة للطفل أو نبذه ، فيتحدد مركزه فى الأسرة بمدى ما تضفيه عليه من امتيازات أو تحرمه منها . وكثيرا ما يستطيع الطفل أن يكسب مركزه بنفسه بصفاته الخاصة ، فقد يؤدى ذكاؤه وبخاصة فى المدرسة أو لباقته وخفة دمه إلى تغيير مركزه بين أخوته.

ويتوقف المركز على ترتيب الطفل بين إخوته وعلى سنه وعلى جنسه وعلى مميزاته الفردية. ويهمنا هنا المركز الذى تحدده الأسرة للطفل فى المجتمع الأكبر ويتحدد هذا المركز بمستوى الاسرة الاجتماعى والاقتصادى ، ومقارنة الطفل نفسه وأسرته بالأطفال وأسرهم، فابن العامل يعرف مركز والديه ومركز أسرته وبالتالى مركزه بالنسبة لغيره من الأطفال ، كذلك ابن الطبيب وابن الحاكم . والمراكز تكون عادة جامدة فى المجتمعات الطبقية الجامدة التى يصعب التحرك فيها من طبقة لطبقة ، غير أنها تتغير فى المجتمعات المتطورة . إذ يؤدى التعليم والاجتهاد الشخصى والمـــال والزواج إلى تغير مركز الفرد وتحرره من المركز الذى حدده له ميلاده فى أسرة مُعينة .

ويتصل المركز اتصالا وثيقا بتحديد فكرة المرء عن نفسه وهـــذه الفكرة هى الناحية التى سنتكلم عنها فيما يلى .

٥ ـ فكرة المرء عن نفسه

نقول فى استعمالاتنا اليومية « فلان حاطط نفسه فى السما » و « فلان نفسه عزيزة » و « فلان نفسه متحطه » و « فلان يجهد نفسه من أجل أبنائه » .

فمـــا هى هذه النفس أو الذات وكيف تتكون ؟

يولد الطفل فى عالم ملىء بالضجيج والضوضاء ، وليس لديه أى فكرة عن نفسه فجسمه والعالم الخارجى يكونان وحدة واحدة لايستطيع الطفل أن يفرق بينها وتستمر فكرة الطفل عن نفسه طيلة السنوات الخمس الأولى من حياته غامضة ، لاتتضح ولاتتبلور حتى تنفصل ذاته عن العالم الخارجى ، ويتمكن من رؤية نفسه كما يراها الغير وتتكون الذات بالتفاعل الاجتماعى وعن طريق التنشئة الاجتماعية . ويرجع الفضل إلى جورج ميد فى اخراج نظريه عن تكوين الذات محورها هذا التفاعل وهذه التنشئة .

ويعتقد البعض أن أول مرحلة من مراحل تكوين الذات هى انفصال الجسم عن العالم الخارجى . ويعزو البورت بداية الذات وانفصال الجسم عن العالم الخارجى إلى الاحساسات المفصلية التى تؤدى الى انتصاب القامه وتعلم الجلوس والوقوف . ويخالفه ميد فى ذلك إذ يرى أن شعور الطفل بجسمه إنما يأتى عن طريق استجابات الآخرين ومعاملتهم للطفـــل وكلماتهم واتجاهاتهم النفسية نحوه . فيمتص الطفل هذه الاستجابات ونوع المعاملة التى يعامله بها غيره . ويساعد امتصاص هذه الاستجابات على ربط الاحساسات الجسمانية المختلفة وسماع الطفل لصوته وما الى ذلك بعضها ببعض . فيعرف الطفل نفسه بطريق غير مباشر عن طريق الآخرين الذين يتفاعل معهم . ولن يتمكن الطفل من معرفة جسمه إلا إذا تمكن من تمثيل أدوار الآخرين ممن يتفـــاعل معهم . أى معرفة أدوار الآخرين له بالنسبة له كدور الأم وعلاقتها به ودور الأب ،

والأخوة وما إلى ذلك فعملية التفاعل الاجتماعى تسبق عملية شعور الطفل بالجزء الجسمى من ذاته .

وتحدد الأسرة للطفل اسما عند ميلاده ، وتحدد له دوره تبعا لجنسه فى حدود الدور الذى تحدد له الثقافة . فالدور والمركز والتنشئة والملابس كلها عوامل اجتماعية تلعب دورها فى تكوين الذات .

ومن العمليات النفسية الاجتماعية والديناميكية التى تساعد على تكوين الذات ما يأتى:

١ - **الامتصاص** : إذ يمتص الطفل من المجتمع الخارجى وخاصة من الافراد الذين يتفاعل معهم تفاعلا مباشرا كالأب والأم والأخوة - نوع المعاملة التى يعاملة بها هؤلاء وموقفهم من ردود أفعاله . فاذا ما قلنا أن الطفل قد امتص أمه فاننا نقصد أنه امتص موقفها من أفعاله وأصبح هذا الموقف مرتبطا بموقفه نحوها ، ففى عملية الامتصاص ربط لأفعال الآخرين بأفعالنا نحن ونسلك نحو أنفسنا كما يسلك الآخرون نحونا . لذلك يقول كولى «إن المجتمع مزآة يرى الفرد فيها نفسه» فالطفل المكروه يعامله الكبار معاملة تنم عن هذه الكراهية فيمتص الطفل هذه المعاملة ويصبح موقفه من نفسه مماثلا لموقف الآخرين منه وهو كراهيه النفس أو الذات والطفل الوحيد المدلل يعامله الكبار معاملة تتسم بما يمنحونه فيها من امتيازات كثيرة ، فيمتص الطفل هذه المعاملة فيصبح موقفه من نفسه موقف المحب لذاته المدلل لها.

٢ - **التوقع** . ويقصد بذلك أن يسلك الطفل مع الآخرين السلوك الذى يتوقعونه منه كما أنه يستطيع أن يتوقع ردود أفعالهم نحوه . فاذا قرأت على رجل السلام فانك تتوقع ردا معينا ولعلك قرأت عليه السلام لأنه توقع منك ذلك .

وهكذا تكونُ الذات هى النظام الديناميكى للمفاهيم والقيم والأهداف والمثل والطريقة التى تقرر الأسلوب الذى يسلك به الفرد . وسنرى فى الفصول التالية اثر كل هذه العوامل فى تكيف الفرد .